

آن روبرت جاك تيرغو (1727-1781) ودوره الاقتصادي في فرنسا

Anne Robert-Jacques Tergot (1727-1781) and his economic role in France

م.م. علي جبار خلف الغزي: مديرية تربية ذي قار، العراق

Lecturer: Ali Jabbar Khalaf Al-Ghazi: Dhi Qar Education Directorate,
Iraq, Email: jbarl2997@gmail.com

DOI: <https://doi.org/10.56989/benkj.v3i2.51>

الملخص:

كان تيرغو منذ طفولته يمتاز بالذكاء، فهو من عائلة نورمان ذات الأصول العريقة، اجتاز جميع مراحل الدراسة بكل تفوق وشهد له بذلك جميع اساتذته، تدرج في المناصب الادارية فعين عام 1749 في السوربون فبرز خطيبا وفيلسوبا، ثم تولى في عام 1751 إدارة مدينة ليموج، ثم أصبح في العام نفسه مستشار للبرلمان، ثم رئيس للالتماسات في عام 1753 فأظهر مقدرة وكفاءة عالية في جميع المناصب. وبوصفه شخصية مشهورة واقتصادي بارع وقع اختيار الملك لويس السادس عشر عليه ليتسّم وزارة المالية (1774-1776)، فوضع مشروعه الاصلاحى واتخذ عدة قرارات ساهمت في تحسين الوضع الاقتصادي، ومنها إطلاق حرية التجارة، ومساواة الجميع في استحصال الضرائب، والغاء نقابات العمال التي كانت تحتكر جهود العاملين، كما وضع حد لنفقات البلاط الملكي واسراف العائلة المالكة، الامر الذي ادى الى استياء الطبقة الحاكمة من سياسته الاقتصادية بالاضافة الى معاداة النبلاء ورجال الدين له كل ذلك دفع الملك الى اقالته من منصب الوزارة.

الكلمات المفتاحية: تيرغو، الازمة الاقتصادية، الوزارة، فرنسا، لويس السادس عشر.

Abstract:

Phases of study In phases of study In all phases of study, in phases of study, in phases of study, in phases of study, in long phases of study, represents an orator and philosopher, then appointed in 1751 the city of Limoges, then appointed in the year. Counsellor of Parliament, President of the Petitions in 1753 showed an integrated picture in a high image in all positions. As a famous figure and a skilled economist, King Louis XVI chose him to take over the Ministry of Finance (1774-1776), so he established his reform project and took several decisions that contributed to improving the economic situation, including the launch of freedom of trade, equality for all in the collection of taxes, and the abolition of the unions that monopolized The efforts of the workers, as well as putting an end to the expenses of the royal court and the extravagance of the royal family, which led to the ruling. Class discontent with his economic policy as well as the hostility of the nobility and the clergy to him, all prompted the king to remove him from the position of minister.

Keywords: Tirgo, conomic crisis, ministry, France, Louis XVI.

المقدمة:

تُعد دراسة الشخصيات من المواضيع المهمة جداً، ذلك لما للشخصية من أثر مباشر في صنع الحدث التاريخي، خاصة لما للشخصية من مبادئ فكرية قد امنت بها وغيرت من خلالها مجريات الاحداث، ولذلك جاء موضوع البحث (ان روبرت جاك تيرغو 1727-1781 ودوره الاقتصادي في فرنسا)، لكون تيرغو شخصية لها صفات مميزة، فهو الى جانب كونه فيلسوفاً كان اقتصادياً ماهراً وكان ذكياً جداً وسديداً للرأي ولديه رغبة جامحة للإصلاح.

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر (الكتب والرسائل الأكاديمية) يأتي في مقدمتها كتاب قصة الحضارة للمؤلف ول ديورانت والذي يحتوي على معلومات مفصلة، ورسالة جاك نيكر (1732-1790) للباحثة هدى جواد كاظم الموسوي، والتي استعرضت من خلالها دور وزير المالية الفرنسي جاك نيكر، بالإضافة الى مجموعة من المصادر باللغة الانكليزية والفرنسية والتي غطت أغلبها مباحث الدراسة.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول تدهور الوضع الاقتصادي في فرنسا والدور الذي قام به وزير المالية تيرغو لمحاولة إصلاحه، ومعرفة مدى نجاح وفاعلية تلك الخطوات الإصلاحية في ضل التحديات التي واجهته.

منهج البحث:

سلك الباحث أسلوب وحدة الموضوع الذي لا يخلو من التسلسل التاريخي الموحد ليكون مناسباً للهدف الذي يروم تحقيقه وهو المنهج التاريخي والذي يتضمن السرد والتحليل لبعض النصوص.

اهداف البحث:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على حقبة مهمة من تاريخ فرنسا الحديث امتازت بسوء الإدارة المالية، رغم وجود الموارد المتعددة، الامر الذي ترك اثاره على الاقتصاد الفرنسي بصورة عامة فكان هدف الدراسة معرفة الدور الذي قام به وزير المالية تيرغو رغم وجود تحديات كبيرة واجهته منهاجه الاصلاحي.

المبحث الأول: نشأته وإعداداه

ولد تيرغو في العاشر من ايار عام 1727 في باريس من عائلة نورمان Norman وهي من العوائل العريقة التي تتقل أفرادها المناصب الهامة اجيالا عديدة بكل كفاية، وكان ابوه ميشال ايتيان Michel Etienne مستشار للبرلمان في باريس وهو ارفع منصب اداري في باريس، والدته هي السيدة الارستقراطية مادلين فرانسواز مارتينو Martineau Madeleine Francois واخوه الأكبر امينا للالتماسات والمطالب في برلمان باريس وعضوا بارزا فيه¹.

كان تيرغو أصغر ابناء ميشال الثلاثة، وكان الاب يطمح في ان يوجه انظار ابنه للعمل في الكنيسة، فبدأ دراسته في مدرسة لويس لوغراند Louis Le Grand لدراسة الخطابة، ففي السادسة عشر من عمره انتقل الى مدرسة دوبليسيس De Plessis لدراسة اللاهوت² وفي التاسعة عشر تعلم القراءة اللاتينية واليونانية والعبرية والاسبانية والايطالية والالمانية والانكليزية والكلام بثلاث من هذه اللغات على الاقل بطلاقة³، ثم درس في كلية سوليسيس Saint Sulpice والتي حصل منها على شهادة البكالوريوس في اللاهوت⁴.

كان تيرغو يمتاز بالذكاء والعبقرية والحكمة قبل دخوله الى المدرسة، وقد شهد له بذلك معلميه الذين كانوا من أفضل المعلمين في ذلك الوقت وكان منهم معلمه في الاقتصاد والإدارة جاك كلود ماري فنسنت Jacques Claude Mane Vincent ومعلمه في اللاهوت ماركيز دي غورني Marquis De Gournay، ومعلمه في البلاغة غوبرين Guerin ومعلمه في الفلسفة سيغورن Sigorgne⁵.

وفي نهاية عام 1749 تم تعيين تيرغو في السوربون وبوصفه هذا القى محاضرات أثارت اثنان منها ضجة خارج نطاق اللاهوت⁶ وأثناء دراسته علم اللاهوت اكتشف الاقتصاد السياسي وكتب مقالته الأولى عن الاقتصاد والتاريخ وأبرزها خطبة حول (مراجعة فلسفية للتقدم المتعاقب للعقل

¹ – N. Rothbard, Murray (2011). The Turgot Collection Writng Speeches and Letters of Ann Robert Jacques Turgot: Baron Laune, p ix.

² – ديورانت، ول وايريل (2001). قصة الحضارة. (ط2). بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ص131-132.

³ – Serra, Antonio Truyoly (N. D) Anne Robert Jacques Turgot, Discursos sobre El Pro Greso Humano Estudio Prelimnar Traducciony Notas De, p ix.

⁴ – Dussard, Eugene Daiveet Hippolyte (1844). Les Notes De Dupont De Nemours Des Questions Sur Le Commerce, Et Dobservations Et E Notes Nouvelles Turgot, Sur La Vie Et Les Ouvrages De Turgot, De Lettres Inedites, Osnabruck, P ix.

⁵ – N. Rothbard, Murray. Op. Cit, P x.

⁶ – خليل، احمد خليل (2004). ملحق موسوعة السياسة. (ط11). بيروت: دار فارس للنشر والتوزيع، ص260.

الإنساني) عام 1750، حيث قدم أول مساهمة في تطوير نظرية (المراحل الأربعة 4 Stage Theory) للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتي تبدأ من الذين يعيشون على الصيد والجمع الى المجتمعات القائمة على العبيد ثم الى السلام والازدهار¹.

ومنذ عام 1750 بدأ تيرغو يفصح بعض مبادئ الفلسفة ولخص وجهة نظره في ثلاث كلمات (النظام – الحرية – التقدم) والنظام برأيه هو العدالة والحرية هي الحق في فعل شيء غير مخالف لحقوق الآخرين، أما التقدم فهو التطور التاريخي عبر الأجيال²، وفي كانون الأول من العام نفسه القى محاضرة على السوربون باللغة اللاتينية في القواعد التي أفاد بها توطيد المسيحية للجنس البشري وقال عنها أنها أنقذت العالم القديم من سلطات الخرافة وصانعت الكثير من الآداب والفنون والعلوم وقومت للبشر مفهوم محرر لقانون العدالة يسمو فوق كل ألوان التعصب والأنانية البشرية، وبعد ذلك القى محاضرة أخرى في السوربون عنوانها (جدول خلفي بالتقدم المطرد للعقل البشري) عبر فيها عن دور الديانة في التقدم³.

وفي بداية عام 1751 وبعد الانتهاء من دراسة اللاهوت وحصوله على ثقافة عالية جمع فيها اغلب فروع العلم تقريبا، كتب الى والده رسالة بين فيها رفضه للعمل في الكنيسة، فوافق والده على قراره، غير أن اغلب أصدقائه المقربين رفضوا ذلك واعتبر بمثابة الصدمة لكل من يعرف تيرغو⁴.

أخذ تيرغو بعد ذلك يتسنى المناصب فتم تعيينه لإدارة ليموج Limoges عام 1751، ثم تعيينه مستشار للبرلمان في الثلاثين من كانون الأول عام 1751، ثم عين رئيس الالتماسات في الثامن والعشرين من آذار عام 1753⁵.

وخلال منتصف خمسينيات القرن التاسع عشر تواصل تيرغو بالفيزيوقراطيين حيث التقى كويسني Quesnay و ديبونت دي نيمورس Dupont De Nemours ، إلا انه تأثر بشكل كبير بالاقتصادي الذي كان مهتما بالسوق الحرة والتجارة فنسنت دي غورني Vincent De Gournay وسافر معه في رحلات كثيرة، وغورني هو صاحب عبارة (هيا بنا . هيا بنا) عندما سئل عن السياسة والاقتصاد، وعندما توفي غورني في عام 1759 كتب تيرغو (تأبين غورناي Eloge De Gournay)

¹ – Harts, David (25 June 2012). Anne Robert Jacques Turgot (1727–1781). Davidm Hart. Com.

² – Dussard, Eugene Daiveet Hippolyte, Op. Cit, p xii .

³ – خليل، احمد خليل، المصدر السابق، ص260.

⁴ – Dussard, Eugene Daiveet Hippolyte, Op. Cit, p xii.

⁵ – I Bid, P xi.

المطول الذي دافع فيه عن السياسة والاقتصاد وأكد على سياسة عدم التدخل التي افتقر إليها في كثير من الأحيان أعضاء المدرسة الفيزيائية¹.

حظي تيرغو بفرصتين للتطبيق: الأولى وضع السوق الحرة في مجال الممارسة وذلك على نطاق محلي عندما تم تعيينه (وكيل ليموج Intendant of Limoges) للمدة (1761-1774)، وعلى المستوى الوطني عندما أصبح وزيراً للمالية (1774-1776)، ففي المرحلة الأولى عمل تيرغو على الإصلاح الاقتصادي القانوني مع جهود متضافرة للدفاع عن هذه الإصلاحات في سلسلة من المذكرات والآراء الرسمية التي تم نشرها داخل الحكومة، فكانت محاولات إصلاحه واسعة النطاق وتشتمل على ثورة حقيقية في الحكومية².

وبوصفه اقتصادياً مشهوراً كان تيرغو براعاً في إدارة مدينة ليموج التي كانت من أفقر مدن فرنسا فعمل بها مراقب للمالية لمدة ثلاث عشرة عاماً، حيث رفض الخضوع لرغبات النبلاء ورجال الدين الذين توقعوا أنه سيكون لصالحهم الأمر الذي جعلهم يناصبونه العداء، فبدأ بتغيير هذه الأفكار وحاول كسب محبة ورضا الناس بشكل تدريجي فأصدر مرسوم التجارة الحرة للحبوب، وتوجه إلى الضرائب التي كانت غير عادلة فكانت هناك فئة لا تدفع ويقع العبء الأكبر على الفقراء، فبدأ بضريبة الأرض وجعلها أكثر انصافاً ثم استبدال ضريبة السخرة بضريبة مالية³.

المبحث الثاني: وزارة تيرغو (1774-1776)

تسلم لويس السادس عشر (Louis XVI)⁴ العرش الفرنسي في العاشر من أيار عام 1774، وكان الوضع الاقتصادي أكبر ما يستدعي الانتباه لما كانت عليه فرنسا من أرباك أثر ما استنزفته

¹– Harts, David. Op. Cit.

²– I Bid.

³– S. G. Tallentyre (1906). The Friends of Voltaire. London. P 214-218.

⁴– لويس السادس عشر:- لويس السادس عشر (1754-1793):- آخر ملوك فرنسا في عهده قامت الثورة الفرنسية وأدت إلى الإطاحة بالحكم المطلق ولد في فرنسا عام 1754، ورث العرش عن جده لويس الخامس عشر، والدته ماري جوزيف، تزوج من ماري أنطوانيت وهو في عمر الخامسة عشر، عرف عنه ضعف الشخصية وكان غير حكيماً في اتخاذ القرارات لذلك وقعت فرنسا في دين أكثر من عهد أبيه ورفضت البنوك منحه قروضاً أخرى، أنفق الكثير من أموال فرنسا في مساندة الثورة الأمريكية حتى باتت فرنسا تنفلس عام 1787. أراد تخليص نفسه من الدين فأمر بزيادة الضرائب، لاقى مظاهرات عديدة أمام قراراته بزيادة الضرائب الأمر الذي أدى إلى قيام الثورة الفرنسية وإعدامه. للمزيد من التفاصيل ينظر:-

Tulard, Jean (1987). Histories et Dictionnaire de La Revolution Francaise 1789-1790. Robert Laffont. Paris. P. 956-957.

الحروب الماضية¹، فضلاً عن إسراف البلاط ومصاريف النبلاء وامتيازاتهم². غير أن هذه الأزمة لم تكن بسبب ضعف موارد الحكومة الفرنسية، بل على العكس، ففرنسا كانت تمتلك زراعة وصناعة وتجارة مزدهرة ومتطورة، وإنما الأزمة كانت ناشئة من عجز الدولة في موازنة مواردها مع مصاريفها ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى عدم دفع الفئات الغنية للضرائب بسبب امتيازاتها القديمة³.

كانت الحكومة الفرنسية قد ارتكبت في وقت سابق بعض الأخطاء الشائعة، ومن أبرزها إصدار ما يسمى بالدين الفائض للحكومة⁴ وقد استخدم ذلك لأهداف أمنية ولوقت محدد من أجل استمرار نظام الحكم والمحافظة عليه ويتم دفعها كجزء ثابت من الدخل وتلك المستحقات هي شكل من أشكال الاستثمار مع أشخاص محددين، فضلاً عن ذلك كان هؤلاء الأشخاص يميلون إلى زيادة المبالغ المستحقة، ومن العادات الأخرى أيضاً إصدار الملك كمبيالات للخرانة تمنح لحامل السند ولذلك كان من المستحيل أن يعرف مفتش المالية ما الغرض المرسوم لها، وفي الأصل كانت هذه الكمبيالات أداة لدفع النفقات الخاصة للملك. ولا بد من الإشارة إلى أن تلك الكمبيالات أصبحت أهدافاً جيدة لأطماع الدول، ففي عهد لويس السادس عشر سحبت أموال كثيرة جداً إذ إن من السهل على ملك ضعيف أن يمنح صكاً لأي شخص يطلبه منه، وقد وعد تيرغو بإيقاف العمل بذلك، لكنه لم يكن يمتلك القوة والمساندة الكافية لتحقيق ذلك⁵.

كان يخصص للملك وعائلته والحاشية والبلاط مبالغ معينة سنوياً من خزانة المملكة تبلغ 6%، فهو أقل ما يمكن القبول به، وكانت هذه المبالغ ينصب جزء كبير منها في مجال الإسراف والبذخ الغير مبرر للعائلة الملكية الفرنسية، فكانت فرنسا تعاني من نقص حاد في الموارد المالية ومن ثقل الديون التي أوجدتها حروب لويس الرابع عشر (Louis XIV) (21) خلال القرن التاسع عشر⁶.

¹ – Cobban, Al Fred (1957). A History of Modern France. (Vol. 1) Nicholls company, London. P. 112.

² – قاسم، محمد و حسني، حسين (1922). تاريخ القرن التاسع عشر وما يليه من الحوادث حتى نهاية الحرب العظمى. (ط1). مصر: مطبعة السعادة، ص25.

³ – طهيو، فائق و حمدان، محمد سعيد (2010). تاريخ العالم الحديث والمعاصر (ط2). القاهرة، ص38؛ الجمل، شوقي عطا الله و إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق (2000). تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة. (ط1). مصر: المكتب المصري للتوزيع، ص90.

⁴ – الهاشمي، اياد علي (2010). تاريخ أوروبا الحديث (ط1). عمان: دار الفكر العربي، ص147.

⁵ – قاسم، محمد و حسني، حسين، المصدر السابق، ص25.

⁶ – لويس الرابع عشر: ولد في الخامس من أيلول عام 1638 والده لويس الثالث عشر وأمه آن النمساوية، تسلم العرش الفرنسي للمدة (الرابع عشر من أيار 1643 = - الأول من أيلول 1715)، وكان تحت وصاية أمه الملكة آن، تميز عهده بنشاطه السياسي الخارجي، فكان النزاع مستمر لمدة قرن أو أكثر بين البيت الفرنسي وبيت الهابسبورغ وعندما فرض لويس الرابع عشر

لقد كانت مصاريف الدولة أكثر من الواردات، إذ كان مقدار المصاريف يقدر بـ (629,000,000 مليون فرنك، أما الواردات فكانت تقدر بـ (503 مليون فرنك، أي كان مقدار العجز ما يقارب بـ (126 مليون فرنك أي ما يعادل 2% من الميزانية؛ وكان أكثر من 50% من الموازنة يذهب لحيوب المرابين بدل تسديد ديونهم السابقة أي كانت موازنة الانفاق تعادل (318 مليون) فرنك، وأكثر من (4/1) الموازنة أي 26% بمقدار (65 مليون فرنك يذهب للجيش والبحرية، أما مصاريف القصر الملكي والحاشية فقد بلغ 6% من الموازنة، وباقي الخدمات، كالتعليم، والجامعات، والخدمات العامة فإن نصيبها القليل، أي ما يعادل 2%¹.

أما الضرائب فهي غير عادلة، فقد كانت الحكومة تفرض ضريبة الملح، وتحتكر تجارة الملح وتفرض على كل شخص من الأهالي رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً إذا تجاوز الثامنة عشر من العمر، وكان شراء الملح بقدر معين حتى إذا لم يكن لدى الشخص الخبز اللازم لحياته اليومية، وكان ثمن الملح يختلف من إقليم إلى آخر² أما ضريبة الإيراد أو الضريبة العشرينية كانت تفرض على الجميع حسب دخل الفرد، وكان النبلاء يشتركون في هاتين الضريبتين اشتراكاً لا يتناسب مع مركزهم وثروتهم، أما ضريبة الرأس (التي كانت تفرض من قبل الحكومة والتي تحدد قيمتها وفقاً للظروف وحسب إمكانية سكان كل منطقة، ويتولى جباية هذه الضريبة أشخاص عُرف عنهم الكثير من القسوة في جمعها،³ وكانت ضريبة العقار تفرض على العامة وخدمهم، وكانت تتزايد بتزايد حاجات الحكومة، وأعفي منها النبلاء ورجال البلاط والقضاء وكبار رجال الدين⁴.

حكمه الشخصي عام 1661 فقد كانت الأراضي الإسبانية ما تزال تواجه فرنسا من جوانبها الثلاثة (الشمال، والشرق، والجنوب)، حول فرنسا إلى ملكية مطلقة تقوم على نظرية (الحق الإلهي) فسيطر على النبلاء، ووضع نظام الوزارة في شكلها الحديث وذلك بإنشاء وزارات ذات اختصاص محدد، ازدهرت في عهده التجارة والصناعة وازدادت القوة البحرية وتوسعت المستعمرات الفرنسية، تميزت الحقبة بين (1683-1715) بكثرة حروبه التي كانت مثار خوف الدول الأوروبية من أطماعه، وكانت فرنسا منفصلة عن البابا، اضطهد الهيكونت، سمي عصره بالعصر الذهبي للثقافة الفرنسية. للمزيد من التفاصيل ينظر: - Encyclopedia Americana, Vol. 17, PP. 774- 775.

- ¹ - هريدي، صلاح احمد (2010). معالم تاريخ أوربا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية. (ط1)، ص348.
- ² - علي، أكرم عبد (2010). تاريخ أوربا الحديث. (ط1). عمان: دار الفكر، ص74؛ مراد، محمد (2010). أوربا من الثورة الفرنسية إلى العولمة (الاقتصاد - الأيدلوجيا - الأزمات). (ط1). بيروت: دار المنهل اللبناني، ص20.
- ³ - راشد، زينب عصمت (1986). تاريخ أوربا الحديث في القرن التاسع عشر. (ط1). القاهرة: دار الفكر العربي، ص34؛ الهاشمي، اياد علي، المصدر السابق، ص146.

⁴ - Jeans, Peter (1995). Reform and Revolution in France: the politics of transition (1774-1791), Cambridge University Press, London, PP. 61-62؛ الهاشمي، اياد علي، المصدر السابق، ص146.

أدرك لويس السادس عشر ان الأزمة المالية أكبر مشكلة تواجه إدارته للبلاد، فبدأ البحث عن وزراء أكفاء، أمناء يصلحون الفوضى التي انتشرت في الإدارة والمالية¹.

كان تيرغو في السابعة والأربعين من عمره وكان من المع الشخصيات الاقتصادية في فرنسا، فهو ينتمي إلى الفيزيوقراطيين، وقد لفت الأنظار أكثر حيث كان رمزاً للاقتصاديين، فكان شخصية مشهورة وكان ميالاً للإصلاح في إدارة الحكومة وراغباً في خدمة البلاط الملكي بصدق وأمانة².

عُين تيرغو بوظيفة وزيراً للبحرية الفرنسية في 20 تموز عام 1774 إذ بقي في هذا المنصب مدة قصيرة خمس أسابيع فقط، وبعد ذلك تم تعيينه وزير للمالية في أواخر عام 1774 في وقت كانت فرنسا تعاني من تردي الوضع الاقتصادي، فالخزانة كانت خاوية والناس في فقر مدقع فكان الفساد مستشرياً في جميع مفاصل الدولة فكان لدى تيرغو رغبة فعلية في معالجة الأزمة المالية الحادة التي وقعت تحت نيرها وسطوتها فرنسا، التي كانت خزانها خاوية والشعب يعاني من الفقر والجوع، بالمقابل كان البلاط الملكي مستشرياً فيه الفساد³.

وفي الرابع والعشرين من شهر آب 1774 ذهب تيرغو إلى قصر كومبين (Comben) لمقابلة الملك وكانت العلاقة بين لويس السادس عشر وتيرغو مبنيةً بشكلٍ متين على كمية من العواطف المبالغ فيها⁴ وأثناء تلك المقابلة قدم تيرغو رسالةً طويلة إلى الملك جاء فيها (ارجو ان نكون يد واحدة لمكافحة جميع اشكال الفساد ومحاربة المستفيدين من ذلك، وذلك سيتعارض مع رغبات اقرب الناس لديك، سيكرهني اغلب أفراد البلاط وجميع وخاصة أولئك الذين يحصلون على العطايا الملكية، واطلب من صاحب الجلالة بالغاء الفوارق بين المفضلين لدى البلاط، والأسرة الملكية وبين المنكوبين من الفقر.. وبذلك سيلجأ خصومي الى معاداتي، وعندها سأتخلى عن المنصب خاصة عندما يكون وجودي غير مفيد لبلدي)⁵ كما بين سياسته القائمة على ثلاث طلبات (لا إفلاس، لا زيادة في الضرائب، لا قروض) وذكر أيضاً في رسالته، (اطلب إليك قبل أن توزع النقود التي بيدك أن تفكر من أين أتت إليك هذه النقود، وبأي شدة وتعسف أخذت من الأمة الضعيفة التي تن تحت وطأة الضرائب الثقيلة)⁶ ثم طلب منه تحسين حالة الفقراء وينهي مظالمهم وبين قائلاً:

¹ - الجمل، شوقي عطا الله وإبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، المصدر السابق، ص80؛ راشد، زينب عصمت المصدر السابق، ص34.

² - N. Rothbard, Murray, Op. Cit, P x .

³ - شكري، محمد فؤاد (1958). الصراع بين البرجوازية والاقطاع 1789-1848. (ط1). بيروت: دار الفكر العربي، ص174؛ ديورانت، ول وإيريل، المصدر السابق، 325.

⁴ - Stephens, Wal Ker (1895). The life and writing of Turcot. London, P. 90.

⁵ - الموسوي، هدى جواد كاظم (2014). جاك نيكير (1732-1790) ودوره الإصلاحي في فرنسا. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، ص 24.

⁶ - Gaetan Salvemini, French Revolution 1788-1792, London, 1963, P. 91.

(سأكون مضطراً إلى محاربة جلالتم . وسيغضب مني الأشخاص الأعزاء عليكم . وسأكون ضحية وفداء لهذه الأمة .. واعلم أيضا بأني سأكون معرضاً لأنواع الافتراءات وقد احصل في النهاية على انتقامكم سيدي)، فأجاب لويس السادس عشر وهو يأخذ يد تيرغو في يديه (لن يخيب ظنك . سأشاركك في كل وجهات نظرك وأدعمك دائماً في كل الخطوات الشجاعة التي تريد اتخاذها)، وفي مساء اليوم نفسه بعث تيرغو إلى الملك رسالة أكد فيها (انه سوف يعالج الإفلاس ولا يزيد في النظام الضرائبي ولا يطلب مزيداً من القروض)¹.

ولتطبيق هذه الأهداف الثلاثة لا بد من خفيض الانفاق لتكون أقل من المبالغ المستلمة، بحيث نترك كل عام مبلغ (20) مليون فرنك لسداد الديون السابقة، كما ألزام تيرغو كل قسم في الإدارة التشاور مع وزير المالية وبحضور الملك لويس السادس عشر².

وبعد هذا المقابلة شرع تيرغو بالإصلاحات إذ أراد أن ينشئ اقتصاداً يزيد من ثراء الأمة ومن ثم يزيد عائدات الضرائب، إذ كانت المصاريف آنذاك تصل إلى (400,000,000) ليرة والواردات (377 مليون) ليرة وهكذا فإن العجز السنوي في الميزانية تراوح (20 مليون - 40 مليون) ليرة، ومثل هذا العجز كان لا يروق لوزير المالية القوي إذ كانت نفقات القصر تتجاوز (30,000,000) ليرة، فعمل تيرغو على تقليص النفقات لتصل إلى (5 مليون) ليرة، كما وجد أن الكثير من الأموال كانت تمنح من دون وجه حق³.

وفي الرابع والعشرين من اب 1774 قدم تيرغو للملك مشروع للإصلاح يتضمن حرية التجارة والزراعة (حرية تجارة الحبوب) وحرية الشركات المصنعة، كما يتضمن معالجة الشؤون المالية والادارية والسياسية سبقه تيرغو برسالة للملك جاء فيها: (صاحب الجلالة .. يسرني ان تأذن لي بعمل ما التزمت به وتعهدت به على نفسي لدعمي في تنفيذ الخطة الاقتصادية والتي لا غنى عنها ونحن بحاجة لها في هذا الوقت أكثر من اي وقت مضى)⁴.

ولمعالجة الوضع الاقتصادي المتردي قام تيرغو بإبعاد المرتشين من الموظفين واستبدالهم بآخرين صالحين وذوي كفاءة عالية، وخفض من نفقات جامعي الضرائب لتصل إلى (6,000,000) مليون فرنك، كما ألغى المناصب الغير مفيدة كما حفظ راتبه الشخصي إلى النصف⁵ ونجح

¹ - الجادري، رؤوف بك (د. ت). التاريخ السياسي (ط1). بغداد: مطبعة الفرات، ص77.

² - ديورانت، ول وإيريل، المصدر السابق، ص325.

³ - الشويلي، سعاد عبد الحسين (2017). شارل الكسندر دي كالون (1734-1802) ودوره الاصلاح في فرنسا. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة ذي قار، ص34.

⁴ - جلال، حسن (1960). الثورة الفرنسية (ط4). القاهرة: سلسلة المعارف العامة، ص77.

⁵ - Economistes, Collection Des Principaux, Tome 4 Oeuvres De Turgot ii, P. 169.

في تقليل الدين العام وأصدر تعليمات بأن لا يصرف مبلغ من الخزنة لأي غرض الا بموافقته، وكان هدفه من ذلك تنشيط الاقتصاد ودعم حرية المشروعات والإنتاج والتجارة¹.

ولإرساء دعائم حرية المشروعات والإنتاج والتجارة بدأ تيرغو بمحاولة لإصلاح الزراعة، إذ كانت الحكومة قد أشرفت على تجارة المحاصيل تجنباً لتضرر أهل المدن، فنظمت بيعها من المزارع إلى تاجر الجملة ومن تاجر الجملة إلى التجزئة، وحددت سعر الخبز وأطلقت يد المزارع في بيع محاصيله بأي سعر يستطيع الحصول عليه الأمر الذي سيرفع من دخله ويحسن وضعه الاجتماعي ويزيد من قوته الشرائية وينهض بمستواه المعيشي².

وفي الثالث عشر من أيلول 1774 اصدر تيرغو (مرسوم الغلال) الذي يتضمن حرية تجارة الحبوب في داخل اقاليم فرنسا بالإضافة الى تنظيم حرية المبيعات في الخارج عندما تصبح الضروف اكثر قابلية للتسوق، غير ان الملك لويس السادس عشر امتنع من الاعتراف بهذه التدابير واعتبرها غير ناجحة وامر بضرورة مناقشة هذه المسألة بحضور تيرغو لدراسة الموضوع اكثر والوصول الى عدالة لا تشوبها التقلبات، ونتيجة لذلك تم الوصول الى اصدار مرسوم في الثالث والعشرون من أيلول عام 1774 والذي نص على حرية تجارة الحبوب في داخل المملكة مع السيطرة على الاسعار من النقوات والتقلبات³، وبموجبه تم إلغاء جميع إجراءات الحكومة المتعلقة بشراء القمح وبيعه بحيث منح الحرية لتجارة القمح بين المقاطعات⁴.

وكان الهدف من وراء هذا المشروع هو تنشيط وتوسيع زراعة الأرض التي تعد غلتها أكثر ثروات الدولة حقيقةً وضمان، والاحتفاظ بوافر من الغلال عن طريق مخازنها، والقضاء على الاحتكار، وإيثاراً للمنافسة الحرة، حتى ان فولتير عندما أطلع على مرسوم حرية التجارة رحب به وعده فاتحة لعصر اقتصادي جديد وتنبأ بأنه سيزيد من رخاء الأمة⁵.

كان موسم حصاد عام 1774 سيئاً ولم تكن واردات الحنطة كافية لسد العجز مما ادى الى ارتفاع أسعار الخبز الأمر الذي تسبب بأندلاع أعمال شغب خطيرة في شهر أيار عام 1775، فقدت على أثرها الحكومة سيطرتها مؤقتاً على كل فرنسا والأقاليم المجاورة⁶ فاندلعت حوادث الشغب وأحرقت العصابات محاصيل الفلاحين ومخازن التجار ورُمي المخزون من المحاصيل في نهر السين، ثم

¹ – Lough, John (1968). An introduction to Eighteenth century France, Longmans Green and co. Ltd. London.

² – ديورانت، ول وايريل، المصدر السابق، ص 326.

³ – هريدي، صلاح احمد هريدي، المصدر السابق، ص 348.

⁴ – Economistes, Collection Des Principaux, Op. cit, P. 169.

⁵ – Lough, John, Op. Cit. P. 215.

⁶ – ديورانت، ول وايريل، المصدر السابق، ص 327.

اعترضت عملية وصول المحاصيل المستوردة من الهانوفر إلى مخازنها في باريس، وفي 2 ايار 1775 توجه متظاهرون إلى قصر فرساي، واعتقد تيرغو ان هذه العصابات يوجهها الموظفون البلديون الذين فقدوا وظائفهم، وكان الهدف من وراء ذلك خلق أزمة قلة محصول الحنطة في السوق لرفع سعر الخبز ومن ثم إجبار الحكومة على التراجع عن خططها الجديدة، غير ان الملك وفي محاولة لامتصاص غضب الجماهير وأمر بخفض سعر الخبز، فاغتنم خصوم تيرغو هذه الفرصة وأخذوا يدسون الدسائس في البلاط ويعملون على إثارة الرأي العام ضده¹.

ان هذه الازمة جاءت نتيجة لظروف طبيعية خارجة عن ارادة تيرغو، وليواجهه الاخير تلك الاضطرابات امر بحماية المخازن ومخازن الغلال، ووضع حد لكل من يحاول القيام بأعمال عنف وكان ذلك بتأييد من الملك لويس السادس عشر²، ثم إصدار الأوامر للتوفير في مصروفات الدولة بتطبيق نظام ضرائبي عادل³ يقوم على أساس المساواة والمقدرة على الدفع من أجل الحد من سلطة الكنيسة، كما اهتم بطريقة جبايتها إذ سعى قدر الإمكان إلى منع التلاعب الذي كان يقع جراء تفويض جباية الضرائب إلى المتعهدين⁴.

وفي بداية عام 1775 قدم توركو مذكرة حول مشروعه الاصلاحى أعدها سكرتيه الاقتصادى بيير صموئيل دوبونت دي نيمور (Pierre Samuel Dupont De Nemours)⁵، ويتم عرضها على الملك لويس السادس عشر بعد دراستها وصياغتها بدقة⁶.

¹ - عبد المطلب، عثمان، المصدر السابق، ص86.

² - J. Lowell, Edward (1927). The eve of French Revolution, New York, P. 17.

³ - العكلي، صالح حسن (2005). فرنسا بين ثورتين 1789-1830. (ط1). عمان: مؤسسة الوراق، ص34.

⁴ - النيازي، اسراء شرشاب عايد (2014). ماري انطوانيت (1755-1793) وموقفها من الثورة الفرنسية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة ذي قار، ص 54.

⁵ - بيير صموئيل دوبونت دي نيمور: وهو اقتصادي فرنسي، ولد في الرابع عشر من كانون الأول عام 1739 في باريس في ميلز، عمل في التجارة الحرة واستيراد وتصدير الحبوب عام 1764، خدم دوبونت نيمور لصالح المفتش العام توركو في عام (1774-1776)، وكان مسؤولاً عن نبذ معاهدة فرساي عام 1783 ويدعو إلى معاهدة التجارة بين فرنسا وبريطانيا، وله أثر كبير في معاهدة التجارة الحرة بين فرنسا وبريطانيا لعام 1786، أصبح سكرتيراً في جمعية الاعيان في عام 1787، وكان متمسكاً بالملكية الدستورية، وقد مثل الطبقة الثالثة (البرجوازية) ولعب دوراً كبيراً في الثورة الفرنسية، إذ أنه اعرب عن رفضه لسياسات الجمهوريين الراديكاليين، ودافع عن الملك لويس السادس عشر، وقد تعرض للاعتقال في عدة مرات ولكن يطلق سراحه بسرعة، لذا خطط الذهاب إلى أمريكا ولكنه عاد إلى فرنسا في عام 1802 على اساس تحسين العلاقات الفرنسية الأمريكية ولكن دون جدوى، إذ رجع وبقي في أمريكا حتى وفاته في السادس آب عام 1817. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Gonzalez, Eduardo (2003). Escartin, Estudio traduccion de la obra refteriones sobre la formaiaen de Seville Press. Spain, PP. 39-40.

⁶ - Stephens, Walker (1895). The life and writing of turcot, London, Greenwood, pp. 122-123.

وفي نيسان عام 1775 اصدر تيرغو قرار يعلق تحصيل الرسوم على الحبوب والدقيق عند مدخل مدن ديجون Dijon وبيون Beaune وسانت جاي دي لون Sant-Jean-De Lone ومونتبارد Montbard، كما اصدر امر في الوقت ذاته بمنع حق التعدين في مدينة بونتواز Pontoise ، وشكل الوية من المارينز للحد من السرقات والحفاظ على مخازن الطحين، ومنع محافظتي الازراس واللورين D Alsace De Lorraine من جلب الحبوب من الخارج، كما منع مدينة بوردو Bordea من استيراد الحبوب سواء عن طريق البر او البحر¹.

لقد كان هدف تيرغو انشاء البلديات الفرنسية التي هي بحاجة للتحسين أو التغيير، إذ قال للملك: (مولاي ان جذور المشكلة تكمن في ان أمتك لا تملك دستوراً، فهي مجتمع يتألف من طبقات متنوعة وسيئة الوحدة، وشعب لديه عدد قليل جداً من العلاقة الاجتماعية فيما بينه، وان مملكتك مكونة من أقاليم وهذه مكونة من مناطق ادارية تعتمد على الأقاليم التي تدعى مناطق نفوذ، وهي تتشكل من عدد معين من المدن والقرى)² وفي مجال الإصلاح المالي قام تيرغو بإنشاء بنك دزكاونت بوف Discount Bahf لصرف الأوراق المالية النقدية³.

وفي نهاية عام 1775 خفض تيرغو المصروفات الى 700 ألف جنيه وانقص الفائدة على الدين الأصلي من 8700000 الى 3 مليون جنيه واستعاد الثقة بالحكومة حتى استطاع أن يقترض 60 مليون جنيه من الماليين الهولنديين بفائدة 4% ويسد بهذه الطريقة ديونا كانت الخزنة تدفع عنها من 7 الى 12 % وأوشك ان يوازن الميزانية من خلال القضاء على المكوس الداخلية التي تفرض على الاغلال والغى النفقات الصناعية من اجل توخي سبل الاقتصاد في نفقات الحكومة⁴.

وفي كانون الثاني عام 1776 قدم تيرغو للملك ست مراسيم الغى المرسوم الأول السخرة وأمر ببناء الطرق السريعة مقابل اجر مالي، أما المرسوم الثاني فقد ابطل قوانين معينة وعالج بشكل رئيسي إلغاء جميع الضرائب على الحنطة والعدس وألغى المرسوم الثالث المكاتب المرتبطة بالموانئ والارصفة والاكتشاك في أسواق باريس، وأمر المرسوم الرابع بإلغاء نقابات الحرف المهنية، اما المرسوم الخامس فقد الغى رسوم التبادلات التجارية في بويسي Poissy⁵ في حين ان المرسوم السادس نص على

¹ – Economistes, Collection Des Principaux, Op. cit, PP. 185-197.

² – Schelle, Gustave (1913): Turgot 'Memorandum on local government', Vol. 4, Paris, P. 1.

³ – عجمي، نعيم كريم و ظاهر، ومشعل مفرح (2009). الملكة ماري انطوانيت (1755-1793) في مواجهة الثورة الفرنسية. مجلة كلية الآداب، العدد 49، ص66.

⁴ – عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم (1995). التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر. (ط1). القاهرة: دار الكاتب الجامعي للنشر، ص138.

⁵ – ديورانت، ول وايريل، المصدر السابق، ص331 ؛ هريدي، صلاح أحمد، المصدر السابق، ص350.

إلغاء النقابات التجارية والصناعية، باستثناء بعض المهن كمهن الصيادلة والكيميائيين وصناع الذهب، والطبايعين وباعة الكتب التي تحت سيطرة الحكومة إذ كانت ممارسة الحرف والصنائع في جميع المدن مركزة في أيدي عدد قليل من المعلمين المتحدين في نقابات، والذين كان لهم وحدهم حرية صنع وبيع سلع الصناعة الخاصة التي ينفردون دون غيرهم بامتيازاتها، لذا أصبح تيرغو تواقاً لدعم التنمية الصناعية بإطلاق حرية الاختراع والمشروعات والتجارة إذ شعر أن الاقتصاد القومي يستفيد من إلغاء الطوائف الحرفية¹.

شعر النبلاء ورجال الدين بالاهانة من هذه المراسيم، وخاصة ما يتلق منها بالضرائب وأعمال السخرة، فقد عمل تيرغو على أن يكون عمل الفلاحين الاجباري في انشاء الطرق مقابل اجر بعد أن كان يتم بالمجان، بالإضافة الى جعل الضرائب عادلة وبالتساوي بعد أن كانت تفرض فقط على فئات دون غيرها².

كما قام تيرغو بإلغاء النقابات التي كانت مسيطرة على العمل، وفتح كل أشكال التجارة الحرة، وأكد على أن يكون أصحاب المهن أحراراً، كما عمل على تقوية مجهود العمال ونظم التعريفية الكمركية³.

واجهت هذه المراسيم اعتراضات مجلس الطبقات إلا أن الملك لويس السادس عشر صادق عليها بالرغم من ذلك، وكان هذا نصراً لتيرغو الذي كانت لديه الكثير من المشاريع الإصلاحية، لكن خصومه أحوالوا دون تحقيقها، ومن بين تلك المشاريع التي قدمها للملك إنشاء اتصال بين الإدارة المركزية والحكومات المحلية، وكان ذلك عبارة عن تشكيل منظمة من تحالفات محلية منتخبة تقوم على أساس التحالف الوطني يتمكن من خلالها الملك من إرضاء الطبقات كافة، وقد عمل تيرغو مشروعه هذا برغبة جامحة لتحقيق العدالة الإنسانية حيث خطط بحكمة ونفذ بدقة ونشاط، وأراد أن يقدم خدماته بمهنية وشرف، لكن أفكاره هذه قرعت أجراس الخطر لدى الطبقة القديمة التي وجدت فيه التهديد الحقيقي لمصالحهم، ولذلك ثار موظفو البلاط ضد هذه الإصلاحات⁴.

جاءت أعمال تيرغو بنتائج سريعة، فبدلاً من عجز مقداره إحدى وعشرون مليون من الفرنكات في ميزانية فرنسا أصبح هناك فائض يزيد على إحدى عشرة مليون فرنك⁵، كما وفر للخزينة مبلغاً

¹ – Hardman, John (2000). Louis XVI the Silent King, Published in United State of America, Oxford University Press, London, p. 44 .

² – S. Zapotoczny, Walter (2009). The Financial Crisis that Contributed to the French Revolution, Copyright, P. 1 .

³ – الموسوي، هدى جواد كاظم، المصدر السابق، ص73.

⁴ – وهيبيرت، كارليل (د. ت). الثورة الفرنسية (ط1). بيروت: دار المستقبل، ص19-20.

⁵ – قاسم، محمد و حسني، حسين (1931). تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى. (ط7). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ص11.

يربو على العجز السنوي¹ الأمر الذي أدى إلى غضب رجال البلاط الذين اعتادوا على الاسراف والتفريط، فقضت سياسة تيرغو الاقتصادية على امتيازاتهم، كذلك رجال الدين الذين كانوا يكونون له العداء والكراهية وكانوا يحرضون الملك والملكة عليه لأنه قد حدّ من سلطات الكنيسة، ولاسيما أنهم كانوا يخشون فرض ضريبة الاملاك على الكنيسة، وأنه كان صديقاً لفولتير الذي يعتبروه ملحداً².

أثارت إصلاحات تيرغو معارضة شديدة في برلمان باريس وبرلمانات الأقاليم إذ رفضت جميع الإصلاحات، فاستعمل الملك حقه المعروف باسم سرير العدل في 12 آذار 1776 وأجبر البرلمان على تسجيل الأوامر والمراسيم الصادرة بهذه الإصلاحات، ولم يبق من مؤيد له إلا الملك الذي كان يقول: (أنا وتيرغو فقط من يحب الشعب) غير أن السخط لم يلبث أن اشتد على تركو، إذ عارضه أفراد البلاط لأنه سخط على إسرافهم ومعاشاتهم ووظائفهم (يفرض الضريبة علينا ! ويقلل من تبذيرنا ! ويخفض إنفاقنا ! وألغى أفضل ما كنا نتلقاه من الإكراميات وخفض الرواتب التي كنا نتلقاها دون أن نعمل شيئاً.. وقد المناصب لأشخاص أكفاء بدلاً من إعطائها إلى النبلاء والطبقة الغنية، ولا عرف ماذا سيأتي بعد؟) وكان رجال الدين ضده لأنه كان فيلسوفاً، كما خشي أن يفرض ضريبة الأملاك على الكنيسة، وأنه سيسمح بحرية ممارسة العقيدة البروتستانتية³.

المبحث الثالث: استقالة تيرغو

واجهت إصلاحات تيرغو معارضة شديدة من قبل مجموعة من الفئات يأتي في مقدمتها الملكة ماري انطوانيت Mari Antoinett⁴، التي كانت رافضة للسياسة الاقتصادية التي اتبعها تيرغو خاصة وانها كانت تمتاز بالبذخ والاسراف، ومما زاد العداء بين الطرفين هو اصرار الملكة في منح صديقتها السيدة دي لامبيل De Lamballe⁵، منصب مراقب المنزل الملكي فكان تيرغو رافضاً

¹ - جلال، حسن، المصدر السابق، ص77؛ شكري، محمد فؤاد، المصدر السابق، ص175.

² - سرير العدل: هو أحد صلاحيات الملك، فيحضور الملك إلى البرلمان يعلن رئيس المجلس رغبة الملك أن تصبح الأوامر قوانين، وبحضور الملك وتدخله يوقف مؤقتاً كل وظائف القضاة الذين لا يساوونه في المرتبة. ينظر: شكري، محمد فؤاد، المصدر السابق، ص175.

³ - النيازي، إسراء شرشاب عايد، المصدر السابق، ص57.

⁴ - ماري أنطوانيت (1755-1793): ملكة فرنسا وزوجة لويس السادس عشر، وابنة الإمبراطور فرنسيس الأول وماريا تيريزا، أثارت شبهات الفرنسيين بسبب أصلها النمساوي، ولم تجد في زوجها الضعيف الإرادة رجلاً كفئاً، فانغمست في حياة المسرات والتبذير كانت مكروهة الشعب الفرنسي، أدت سوء ادراستها هي وزوجها إلى قيام الثورة الفرنسية 1789، للمزيد من التفاصيل ينظر: النيازي، إسراء شرشاب عايد، المصدر السابق.

⁵ - دي لامبيل (1749-1792): هي الأميرة ماري تريزا ولدت في تورينو وكان والدها لويس فيكتور ((Lousi Victor) أمير كاريجنيانو (Carignano) أما والدتها فهي كريستين حفيدة فكتور أماديوس (Victor Amadeus) من سردينيا (Sardinia)، تزوجت عام 1767 وهي في السابعة عشر من لويس الكسندر دي بوربون (Alexander De Bourbon Louvis) الملقب بالأمير دي لامبال حفيد لويس الرابع عشر، ثم كانت تربطها مع الملكة ماري انطوانيت علاقة وثيقة جداً، إذ أن الملكة عينتها في منصب (مراقب المنزل الملكي) وهي أعلى مرتبة ممكن لسيدة أن تتأهل في فرساي وبعد اندلاع الثورة الفرنسية رافقت

لذلك، لأنه يتطلب من الخزنة مصروفات كبيرة جداً، ومن ثم رضى لويس السادس عشر لإلحاح وضغط الملكة ماري أنطوانيت لإبعاده.

بالإضافة الى عدا الملكة ماري أنطوانيت كان هناك مجلس الطبقات والبلاط والذي كان ينتظر نهاية تيرغو، فضلاً عن ذلك لم يكن الأخير على تواصل جيد مع الناس الآخرين فقد كان على قناعة تامة بأنه وحده على حق، ولم يكن من نوع الرجال الذين يستطيعون الحفاظ على منصبهم ويتجنبون المكائد والدسائس التي تحاك ضدهم، كما انه لا يرى الملك إلا ساعات العمل على العكس من أصحاب البلاط والإشراف ورجال الدين والمتنفذين في السلطة الذين كانوا على اتصال مستمر مع الملك يلزمونه من يقظته حتى رقوده، الأمر الذي هباً الأسباب للملك لجعل تيرغو غير مرغوب به وبرغم ذلك قال الملك لويس السادس عشر: (لا اعرف في فرنسا سوى رجلين يحبان الشعب بإخلاص هما، تيرغو وأنا)¹.

فضلاً عن الأسباب الأنفة الذكر التي دفعت لويس السادس عشر لتحية تيرغو عن منصبه، أورد الملك في تعليقاته سببين إضافيين لإقصاءه، تمثل السبب الأول في تدخل تيرغو في عمل الوزارات الأخرى إذ كان يريد أن يقوم بعمل الوزير الأول، أن لم يكن الملك نفسه ولهذا السبب انفجر الملك لويس السادس عشر قائلاً (يريد السيد تيرغو أن يكون أنا، وأني لا أريده أن يكون أنا) والسبب الثاني موقعه من استقلال المستعمرات الأمريكية عن بريطانيا، فقد عداً امرأ حتماً فهي (أشبه بالثمرة الناضجة التي تسقط حينما يحين موسمها)، فضلاً عن أنه لم يؤيد توجيه ضربة ضد بريطانيا، فقد كان كثير الحذر من تقديم المساعدة للمستعمرات الأمريكية وعداً خرق لحالة السلام السارية بين البلدين منذ معاهدة عام 1763، فضلاً عن أن دخول فرنسا للحرب سوف يؤدي إلى الإفلاس في خزينة الدولة².

اهتزت ثقة الملك بتيرغو بشكل كبير متأثر بالهجمات الدائمة عليه والدسائس المحاكة ضده وضد سياسته من قبل الملكة ماري أنطوانيت ورجال الدين والبرلمانات التي انتصرت في نهاية الجولة من الصراع، ففي الثاني عشر من أيار عام 1776 تلقى تيرغو أمر إقالته، وفي تلك اللحظة تعالت صيحات البهجة من كل أعدائه، فصاح الكونت ارتواز مبتهجاً (وأخيراً سيكون لدينا بعض الأموال..)

دي لامبيل العائلة المالكة إلى قصر التويلري واستمرت بخدمتها للملكة حتى هجوم الثوار على القصر حيث القي القبض عليها وأودعت في السجن. ينظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 7, P. 117.

¹ – G. Smythe, Lillian (1902). The guardian of Marie Antoinette (1770–1780), (Vol. 11). New York, P. 420.

² – سليمان، علي حيدر (1986). تاريخ الحضارات الأوروبية الحديثة. (ط1). بغداد: مطبعة العاني، ص36؛ شاكراً، محمود (2011). موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة (ط1). بيروت: دار اسامة للنشر والتوزيع، ص594.

في حين كانت ماري انطوانيت تشعر بالغضب من الوزير الذي لم تريد خلعها فقط بل أرادت ان يتم إرساله إلى سجن الباستيلكما، اما الاساقفة فقد اخذوا يؤدون صلوات الشكر في الكنائس، في حين ان الفلاسفة وصفوا ما حصل على انه كارثة فكتب فولتير (لا أرى شيء أمامي سوى الموت)¹.

ودع تيرغو لويس السادس عشر وداعاً بلغة نبيلة وغاية في الشفافية قائلاً: (لي أمنية واحدة.. أرجو أن تكون مخاوفي التي حذرتك منها مجرد أخطار خيالية ولا وجود لها على ارض الواقع) بعد ذلك عاش تيرغو مع أعماله النشطة لمدة طويلة حتى توفي في الثامن عشر من اذار عام 1781 عن عمرٍ ناهز الرابعة والخمسون عاماً².

كان لرحيل تيرغو عن الوزارة أثر كبير في نفوس الكثير من المفكرين والاقتصاديين، وجماعة الفيزيوقراطيين، وقد عدّ فولتير استقالة تيرغو نذيراً بانتهاء فرنسا وأدى إلى انتشار الفوضى فظهرت الدعوات إلى ادخال نظام جديد للحكم وأساليب جديدة وكتب فولتير يقول: (لم يبق لي إلا أن اموت بعد أن ذهب السيد تيرغو)³، ووقفت ماريا تريزا موقف فولتير وعدت ان سقوط تيرغو نذير بانتهاء فرنسا، واحزنها الدور الذي لعبته ابنتها في هذا الأمر وأبت ان تصدق تتصل الملكة ماري انطوانيت من التبعة وراء طرد تيرغو عن منصبه إذ أدى رحيله إلى انتشار الفوضى الشعبية إذ أدرك الناس بان الملكية في ظل هكذا ظروف غير قادرة على الإصلاح، وظهرت الدعوات إلى ضرورة إدخال أساليب جديدة في نظام الحكم قبل الوصول إلى مرحلة الانهيار النهائي للدولة⁴.

بعد رحيل تيرغو عن وزارة المالية تم تعيين كلوكني Clugny⁵ مكانه، إذ قام الوزير الجديد بإعادة الكثير من المراسيم التي ألغاهها تيرغو ولعل أهمها إعادة مراسيم السخرة، بالإضافة إلى إعادة الكثير من النقابات الحرفية يضاف إلى ذلك أن كلوكني لم ينفذ مراسيم الغلال. وفي هذه المدة أيضاً قام المصرفيون الهولنديون بإلغاء موافقتهم على إقراض فرنسا مبلغ (60,000,000) ليرة بفائدة سنوية مقدارها (4%)، وهنا لم يكتشف الوزير الجديد طريقة لاجتذاب المال إلى خزينة الدولة أفضل

¹ - طابيس، بشرى (2006). الموقف الفرنسي من حرب الاستقلال الأمريكية (1778-1783)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ص 86؛ فوريه، فرانسو و ريشته، ديني (د. ت). الثورة الفرنسية. (ط1). دمشق، ص 105.

² - النياي، اسراء شرشاب عايد، المصدر السابق، ص 59.

³ - الموسوي، هدى جواد كاظم، المصدر السابق، ص 38.

⁴ - شكري، محمد فؤاد، المصدر السابق، ص 176.

⁵ - كلوكني (1776-1729): رجل دولة فرنسي ولد في غوادلوب، وتولى عدة مناصب منها وزيراً للمستعمرات في سانتو دومينغو للمدة 1760-1764، ثم مفتشاً للبحرية في بريست للمدة 1765-1770، و المشرف العام على روسيون (Roussillon) في بريبيان (Perpignan) للمدة 1773-1774، ومشرفاً عاماً على (Guyenne) في بوردو (Bordeaux) للمدة 1775-1776، وفي الوظائف الأخيرة ظهرت قدرته الحقيقية. ولذلك تم اختياره في 21 أيار سنة 1776 لتولي منصب المراقب المالي العام في فرنسا ليحل محل تيرغو. وعند توليه المنصب عمد إلى إلغاء معظم الإجراءات التي اتخذها تيرغو إلا انه لم يستمر طويلاً في منصبه بسبب الوفاة بسبب داء النقرس. للمزيد من التفاصيل ينظر: <http://fr.wikipedia.org>

من إقامة مسابقة يانصيب وطني تم تنفيذها في 30 حزيران عام 1776¹ ; لكن الوزير الجديد لم يستمر طويلاً في عمله فبعد خمسة أشهر من توليه منصبه توفي تاركاً الوضع المالي الفرنسي بأسوء حالاته ولذلك كان لابد من الاستعانة برجل كفاء يستطيع تولي أعمال وزارة المالية، ولم يجد لويس السادس عشر أصلاً من جاك نيكير لتولي هذه المهمة، فقد كان من أبرز الخبراء الماليين الذين أمدوا الدولة بقروض في الماضي².

الخاتمة:

يتضح من خلال دراسة شخصية تيرغو انه كان يتمتع بمؤهلات كبيرة اسهمت الى حد كبير في معالجة الاوضاع الاقتصادية المتردية حيث واجه جميع فئات المجتمع الفرنسي بشجاعة وجراً كبيرة واتضح ذلك من خلال مواجهة للنبل ورجال الدين والمتنفذين بالدولة وخاصة الملكة ماري انطوانيت والتي عارضت بعض قراراتها وقلصت من مصروفاتها، الامر الذي اثار غضبهم عليهم.

كان تيرغو بحاجة الى دعم ومساندة لمواصلة مشروعة الاصلاح الى كان في اغلب الاحيان يتعرض للسب والتمسك والمكائد، وكان الملك لويس السادس عشر أضعف من ان يتخذ قرار لمساندة تيرغو فكان على العكس اسرا لرغبات الملكة ماري انطوانيت التي كانت تقف في وجه الاصلاح وتناصب تيرغو العداء.

استطاع تيرغو أن يشخص مكامن الضعف في الاقتصاد الفرنسي ووضع الحلول التي أعطت ثمارها الى حد ما لكنه كان الشخص الوحيد الراغب بالإصلاح وسط أطراف مستفيدة تحاول قدر الإمكان الإبقاء على الوضع السابق كالنبل ورجال البلاط ورجال الدين والذين كانوا السبب الرئيس في إقالة تيرغو وتوقف عجلة الإصلاح.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب العربية والمعرّبة

- ديورانت، ول وايريل (2001). قصة الحضارة. (ط2). بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
- خليل، احمد خليل (2004). ملحق موسوعة السياسة. (ط11). عمان: دار فارس للنشر والتوزيع.
- قاسم، محمد و حسني، حسين (1922). تاريخ القرن التاسع عشر وما يليه من الحوادث حتى نهاية الحرب العظمى. (ط1). مصر: مطبعة السعادة.

¹ - ديورانت، ول وايريل، المصدر السابق، ص 327-328.

² - عبد المطلب، عثمان، المصدر السابق، ص 100.

- طهوب، فائق و حمدان، محمد سعيد (2010). تاريخ العالم الحديث والمعاصر. (ط2). القاهرة.
- الجمل، شوقي عطا الله و إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق (2000). تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة. (ط1). مصر: المكتب المصري للتوزيع.
- الهاشمي، اياد علي (2010). تاريخ أوروبا الحديث. (ط1). عمان: دار الفكر العربي.
- هريدي، صلاح احمد (2010). معالم تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية. (ط1).
- علي، أكرم عبد (2010). تاريخ أوروبا الحديث. (ط1). عمان: دار الفكر.
- مراد، محمد (2010). أوروبا من الثورة الفرنسية إلى العولمة. (الاقتصاد – الأيديولوجيا – الأزمات). (ط1). بيروت: دار المنهل اللبناني.
- راشد، زينب عصمت (1986). تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر. (ط1). القاهرة: دار الفكر العربي.
- شكري، محمد فؤاد (1958). الصراع بين البرجوازية والاقطاع 1789-1848. (ط1). بيروت: دار الفكر العربي.
- الجادرجي، رؤوف بك (د. ت). التاريخ السياسي. (ط1) بغداد: مطبعة الفرات.
- جلال، حسن (1960). الثورة الفرنسية. (ط4). القاهرة: سلسلة المعارف العامة.
- عبد المطلب، عثمان (1925). التاريخ السياسي. (ط1). دمشق: مطبعة الترقى.
- العكيلي، صالح حسن (2005). فرنسا بين ثورتين 1789-1830. (ط2). عمان: مؤسسة الوراق.
- عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم (1995). التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر. (ط1). القاهرة: دار الكاتب الجامعي للنشر.
- حسني، حسين (1931). تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى. (ط7). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- سليمان، علي حيدر (1986). تاريخ الحضارات الأوروبية الحديثة. (ط1). بغداد: مطبعة العاني.

• شاكراً، محمود (2011). موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة. (ط1). بيروت: دار اسامة للنشر والتوزيع.

• فوريه، فرانسو و ريشته، ديني. (د. ت). الثورة الفرنسية (ط1) دمشق.

ثانياً: الكتب الانكليزية والفرنسية

- N. Rothbard, Murray (2011). The Turgot Collection Writing Speeches, and Letters of Ann Robert Jacques Turgot, Baron Laune.
- Serra, Antonio (N. D). Truyoly Anne Robert Jacques Turgot, Discursos sobre El Pro Greso Humano Estudio Prelimnar Traducciony Notas.
- Dussard, Eugene Daiveet Hippolyte (1844). Les Notes De Dupont De Nemours Des Questions Sur Le Commerce, Et Dobservations Et E Notes Nouvelles Turgot, Sur La Vie Et Les Ouvrages De Turgot, De Lettres Inedites, Osnabruck.
- Harts, David (2012). Anne Robert Jacques Turgot. (1727–1781), 25 June . Davidm Hart.
- S. G. Tallentyre (1906). The Friends of Voltaire. London.
- Tulard, Jean (1987). Histories et Dictionnaire de La Revolution Francaise 1789–1790. Robert Laffont. Paris.
- Cobban, Al Fred (1957). A History of Modern France. (Vol. 1). Nicholls company. London.
- Encyclopedia Americana. Vol. 17.
- Jeans, Peter (1995). Reform and Revolution in France: the politics of transition (1774–1791) Cambridge University Press. London.
- Stephens, Wal Ker (1895). The life and writing of Turcot. London.
- Salvemini, Gaetan (1963). French Revolution 1788–1792. London.

- Collection, Des Principaux Economistes, Tome 4 Oeuvres De Turgot ii.
- lough, John (N. D). An introduction to Eighteenth century France, Longmans Green and co. ltd. London.
- J. Lowell, Edward (1927). The eve of French Revolution. New York.
- Gonzalez, Eduardo Escartin (2003). Estudio traduccion de la obra Refleriones sobre la formaian de Seville Press. Spain.
- Stephens, Walker (1895). The life and writing of turcot. London. Greenwood.
- Schelle, Gustave (1913). Turgot, 'Memorandum on local government' 1775. (Vol. 4). Paris.
- Shepherd, Robert Perry (1903). Turgot and the Six Edicts, The Columbia University Press, The Macmillan Company. London.
- Hardman, John (2000). Louis XVI the Silent King, Published in United State of America. Oxford University Press. London.
- S. Zapotoczny, Walter (2009). The Financial Crisis that Contributed to the French Revolution. Copyright.
- The New Encyclopedia Britannica, Vol. 7.
- G. Smythe, Lillian (1902). The guardian of Marie Antoinette. (1770–1780). (Vol. 11). New York.
- Guerard, Albert (1946). France a Short History. for the Publisher by the Vail Ballou Press. New Yourk.

ثالثاً: الرسائل الأكاديمية

- الموسوي، هدى جواد كاظم (2014). جاك نيكر (1732–1790). ودوره الاصلاحى في فرنسا. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة ذي قار.

- الشويلي، سعاد عبد الحسين (2017). شارل الكسندر دي كالون (1734-1802) ودوره الاصلاحى في فرنسا. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة ذي قار.
- النيازي، اسراء شرشاب عايد (2014). ماري انطوانيت (1755-1793) وموقفها من الثورة الفرنسية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة ذي قار.
- طائس، بشرى (2006). الموقف الفرنسي من حرب الاستقلال الأمريكية (1778-1783). رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة المستنصرية.

رابعاً: البحوث الاكاديمية المنشورة

- عجيمي، نعيم كريم، و ظاهر، مشعل مفرح. (2009). الملكة ماري انطوانيت (1755-1793) في مواجهة الثورة الفرنسية. مجلة كلية الآداب، العدد 49.